آثار "الصهيونية" داخل اليسار الاميركي والأوروبي

الرسوم الجمركية والسماح لها بنقل بضائعها بالقطارات مجانا .

اما محاولات ربط الصهيونية بالماركسية ، فيظهر مثلا في مقالة نشرت في الجريدة الهنغارية « اوج ايليت » ١٩٤٨/١٢/٩ والتي جاء فيها : « ان عناصر من الطبقة المتوسطة كانت تسيطر على المنظمة الصهيونية في هنغاريا .. وفي المدة الاخيرة اصبح من الواضح ان اكثرية اعضاء المنظمة الصهيونية ينتمون الى الاحزاب الماركسية ـ الصهيونية .. ان الصفة التقدمية للمنظمة الصهيونية من الممكن الاحتفاظ بها فقط تحت قيادة ماركسية ـ صهيونية » (٤) .

وكما كان الحال مع « الشيوعي » الاميركي ا.ب. ماغيل ، فان قائد الصهاينة « اليساريين » في هنغاريا ، لويس ستوكلر ، اراد ان يصور معارك ١٩٤٨ في فلسطين كثورة تقدمية تخوضها « الجماهير اليهودية » فيقول : « اريد ان اخدم القضية السامية التي تنزف من اجلها دماء اخواننا في الارض المقدسة . ففي الوطن القديم (فلسطين) يضحي شبابنا بدمائهم من اجل الحرية والديمقراطية ، وضد المساعي الامبريالية والاضطهاد .. اريدهم ان يعلموا باننا جميعا معهم ، بجميع قوانا ، في نضالهم .. ان هذا الصراع ليس صراعا بين الصهيونيين واعداء الصهيونية ، انه صراع بين مقاتلين من اجل الحرية وبين المضطهدين » (٥) .

وفي بلغاريا كذلك ، نرى الشوفينية اليهودية متمثلة بالكلمة التي القاها اسرائيل ناتان ، احد النواب الشيوعيين ، في المؤتمر الثالث ، للجمعيات اليهودية في مايس ١٩٤٨ : « اليوم ، امام انظار العالم ، تولد امة جديدة ، امة تلم شملها الذي كان مشتتا في جميع انحاء العالم لآلاف من السنين .. ونحن اليهود القاطنين في مناطق اخرى من العالم ، لا يسعنا الا ان نشعر برباط روحي وتاريخي يربطنا مع هذه الامة الجديدة التي هي في طريق ولادتها في فلسطين » (٥)

مناقضة للتاريخ الايديولوجي

لقد جئنا بهذه الامثلة لتوضيح مدى تأثير ونفوذ الشوفينية اليهودية في اوساط تقدمية مما جعل هذه الاوساط تقف بجانب قرار التقسيم باعتباره قرارا يقر حق تقرير المصير « للشعب اليهودي » . وبذلك فقد نقضت هذه الاحزاب ، وخاصة الاحزاب الشيوعية ، موقفها المبدئي المعادي للصهيونية وساندت مشروع قيام كيان استيطاني يهودي ، وهو نفس المشروع الذي شجبه الكومنترن سنة ١٩٢١ ، بانه « عمل كولونيا في فلسطين » .. سيؤدي الى دعم مركز الامبريالية البريطانية .. » كما ان الكلام عن « الامة اليهودية » يتناقض بصورة مباشرة وتامة مع الموقف الماركسي الصحيح الذي صاغه يوسف ستالين في كتابه « الماركسية والمسالة القومية » حيث وصف الروابط التي تربط اليهود بانها « شعائر دينية تتحجرة وبقايا سايكولوجية متلاشية » (طبعة نيويورك ـ ص.١) .

من الملاحظ ، اذن ، ان تركيز الصهاينة في دعايتهم كان على الطبيعة الرجعية العميلة للانظمة العربية سنة ١٩٤٨ ، والتي لم يكن تدخلها سوى العوبة ومؤامرة استعمارية ، ولم يخطر على بالها مقاومة قرار التقسيم نفسه . ولكن الصهاينة وبمؤازرة « اليساريين » قلبوا هذه الصورة لاظهار « الشعب اليهودي » كضحية لهجوم رجعي استعماري ، ومن اجل المقارنة وتوضيح الامر لا بد ان نذكر بان الاحزاب الشيوعية والدول الاشتراكية التي لاتخضع لتأثير الشوفينية اليهودية ، كالصين الشعبية ، كوريا الديمقراطية الشعبية ، فيتنام الديمقراطية ، البانيا ، حركة التحرر الوطني في فيتنام والقوى التقدمية الاخرى في آسيا ، هي القوى الثورية الوحيدة التي تؤيد دون قيد او شرط نضال الشعب الفلسطيني وثورته ضد الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية ومن اجل اقتلاع جذور الصهيونية من ارض فلسطين اقتلاعا تاما .

مرحلة النقد الذاتي

ولكن هذا التهريج الصهيوني في الديمقراطيات الشعبية لم يستمر طويلا دون ان يصطدم ببعض العقبات ، فقد عدل الحزب الشيوعي الهنغاري موقفه سنة ١٩٤٩ كما يلي : « لقد كان موقف الحزب ، انه في دولة اسرائيل من الممكن ان يكون الشخص اسرائيليا اشتراكيا طيبا ، او اسرائيليا شيوعيا ، ولكن ليس هنالك شيء اسمه « اشتراكي ـ صهيوني » او « شيوعي ـ صهيوني » . ولقد وضع هذا المبدأ موضع التنفيذ في الاشهر القلائل الماضية عند اعادة النظر في عضوية حزب العمال الهنغاري ، حيث فصل جميع الصهاينة بالرغم من ادعائهم بانهم « اشتراكيون ـ صهيونيون » او « شيوعيون ـ صهيونيون » (٥) .

ومن المعروف ان هذا الموقف هو الموقف العام الذي اتخذته دول اوروبا الشرقية وكذلك الاتحاد السوفياتي منذ ذلك الوقت لحد الان ، اي قبول شرعية الوجود الاسرائيلي من جهة ، ومعارضة الصهيونية (او مكافحتها احيانا) كحركة في تلك الدول من جهة اخرى .

غير ان ذلك الموقف لم يمنع الصهاينة من الاستمرار في تمركزهم في المراكز القيادية لجميع الاحزاب الشيوعية الاوروبية والقيام باعمال تخريبية .

واسطع مثال على ذلك هو مثال رودولف سلانسكي الذي توصل الى منصب سكرتير الحزب الشيوعي لتشيكوسلوفاكيا ، وفي سنة ١٩٥١ القي القبض عليه وعلى رهط كبير من جماعته من الصهاينة وقدموا للمحاكمة بتهمة التجسس والنشاط الصهيوني ، وحكم عليه وعلى قسم من جماعته بالاعدام ونفذ فيهم الحكم .

وفيما يلي نقتس من اعترافات المجرم سلانسكي امام المحكمة : « لقد قمنا بحملة واسعة لمكافحة اللاسامية . وتم خلق شعبية لدولة اسرائيل عن طريق الصحافة بدون الاشارة الى انها دولة برجوازية وقاعدة امامية للامبرياليين الاميركان في الشرق الادنى . لقد قمت بحماية الصهاينة عن طريق مهاجمة الذين ينتقدون نشاطاتهم . فقد نعت مثل هؤلاء الناس بانهم لاساميون ، وحتى انهم طوردوا ، واضطهدوا وفصلوا من الحزب . وبذلك فقد خلقت جوا يخشى فيه الناس من معارضة الصهاينة ومنظماتهم او التعرض لهم » (٤) .

ومن الجدير بالذكر ان احد المتهمين في محاكمة سلانسكي كان ادوارد غولدشتوكر ، اول وزير مفوض لتشيكوسلوفاكيا في تل ابيب والذي حكم عليه بالسجن في ذلك الوقت بسبب نشاطه الصهيوني ، وبعد ذلك، وخلال موجة «البراءات» التي اجتاحت اوروبا الشرقية بعد ١٩٥٦ اطلق سراح غولدشتوكر واعيد له اعتباره مرة اخرى ، واصبح يلعب دورا بارزا في المجال الثقافي وخاصة ايام حكومة الكساندر دوبتشيك سنة ١٩٦٨ حين وصلت التحريفية اوجها والتآمر الصهيوني واضحا واصبح غولدشتوكر رئيس اتحاد الكتاب في تشيكوسلوفاكيا ، هذا هو نفس غولد شتوكر الذي ظهر اسمه في مقالة لجريدة «برافدا» السوفياتية بتاريخ ١٩٧١/٢/١٩ كاحد المتآمرين الصهاينة مرة اخرى ، حيث قالت : « يسعى الصهاينة للسيطرة على المناصب القيادية في جميع وسائل الاعلام في تشيكوسلوفاكيا وقد نشط هؤلاء الصهاينة ، حسب قول « برافدا » بالقيام « بدعاية واسعة لاعادة العلاقات الدبلوماسية بين تشيكوسلوفاكيا واسرائيل . ولم يكن الدور الذي عهد به الى غولدشتوكر ، وسيك ، وكريغل في هذه الحملة دورا صغيرا » (هذه المقتطفات من « برافدا » نقلتها جريدة « نيويورك تايمز » بتاريخ ١٩٧١/٢/٢٠) (٥) .

بعد هزيمة حزيران ؟

ثم جاءت معارك ١٩٦٧ وانهزمت الانظمة العربية واحتلت مساحات شاسعة من الاراضي العربية وشرد ، مرة اخرى، مئات الالاف من الفلسطينيين فلم يبق امام بعض « اليسار » سوى الاعتراف بالارتباط العضوي بين اسرائيل والامبريالية ، ولم يصبح من الممكن التغافل عن دور المقاومة الفلسطينية التي اصبحت لها مكانة في حركات التحرر الوطني العالمية . ولهذا فقد راى « اليسار » نفسه في مازق حرج ، الا ان ذلك لم يمنع جزءا من هذا « اليسار » للاستمرار في تاييده للصهيونية .

فقد نشر « اليساري القديم » والمراسل الاميركي الشيوعي المقيم في موسكو لمدة تزيد على العشرين سنة ، سكوت نيرنغ ، مقالة في مجلة « مونثلي ريفيو » الاشتراكية الاميركية (كانون ثاني ١٩٧٠) يصف فيها اغتباطه لزيارة اسرائيل . فيقول عن التغيرات التي حصلت بعد ١٩٦٧ : « لقد كانت مساحة اسرائيل ٨٠٠٠ ميل مربع في ١٩٤٨ ، ولكن مع اراضيها الجديدة فانها في ١٩٦٩ تبلغ من المساحة ٢٤٠٠٠ (ميل مربع) وكان عدد سكانها في سنة ١٩٤٨ يبلغ ٨٧٩٠٠٠ نسمة . وفي سنة ١٩٦٧ كان ٢٤٧٧٢٤٩٠٠ وفي خريف ١٩٦٧ ما يقرب من ٣٤٨ مليون » . اي ان الكاتب يعترف بضم هذه المساحات قبل ان تعلنه اسرائيل ذاتها . ويستمر هذا « الشيوعي » في وصفه كيف ان التكنولوجيا الغربية التي جاء بها الصهيونيون الى فلسطين قد « رفعت الحضارة » ، ثم يخبرنا عن زيارته للجولان حيث راى هناك التقدم الذي حققه الاحتلال الاسرائيلي حيث « انه عن قريب سيعطي الريف العربي درجة من الرخاء اعلى بكثير مما كان يتمتع به تحت السيطرة السورية » (!)

اليسار المزيّف

اما الجزء الاكبر من اليسار في الغرب فقد سمى الى « احتضان » حركة المقاومة تحديدا من « التضامن الاممي » . فلننظر الان الى اي مدى الذي لا زالت الشوفينية اليهودية تؤثر فيه .

اصدرت المجلة الاشتراكية الاميركية « مونثلي ريفيو » عددا في اوكتوبر ١٩٦٧ كانت افتتاحية فيه عن « الصراع الاسرائيلي ـ العربي » ، لقد جرت العادة ان تكون الافتتاحية للمجلة المذكورة باسم المحررين ، بول سويزي وليو هوبرمان ، ولكن في هذه الحالة تم بمسعى المحررين من التوفيق بين وجهتي نظرهما وكتبا نشرا مقالتين موقعتين باسميهما بشان القضية الفلسطينية . لقد كانت مقالة سويزي مؤيدة بصورة عامة للثورة الفلسطينية والعربية ، وكان المهم هو ما جاء في مقالة هوبرمان ، وهو مؤرخ « اشتراكي » مالي معروف ، وله مؤلفات عديدة في الاقتصاد الخ .. يبدأ هوبرمان بالاعتراف « بحقيقة ان العرب لهم قضية عادلة ضد الاسرائيليين في نواحي كثيرة ، وان اسرائيل ، بالفعل ، مخفر للامبريالية » . وبعد هذا يقول : « .. ان العدو الرئيسي للجماهير العربية ليست اسرائيل ، ولكن حكوماتهم الاقطاعية الرجعية البيروقراطية التي تستغلهم ، والامبريالية الغربية التي تنهب ثرواتهم » . ثم يقول هوبرمان في اسرائيل انشئت في الارض العربية من قبل الامبريالية « بالتواطؤ مع الانظمة الملكية الاقطاعية العربية لغرض استمرارهم في السلطة عن طريق توفير بديل عن العدو الرئيسي » . ولهذا فان الذي نصب لهم ، لانهم « دكروا طاقاتهم في التنمية الحضارية » ، ثم يخبرنا عن زيارته للجولان حيث راى هناك التقدم الذي حققه الاحتلال الاسرائيلي حيث « انه عن قريب سيعطي الريف العربي درجة من الرخاء اعلى بكثير مما كان يتمتع به تحت السيطرة السورية » (!)

(٥) « الهدف » : في الواقع ان دور تشيكوسلوفاكيا في هذا الشان مذهل : فقد بدات القيادة التشيكية تتعامل مع الهاغاناه في كانون الاول ١٩٤٧ ، وقد بلغت قيمة الصفقات المعقودة لشراء السلاح من براغ في ١٩٤٨ حوالى ١٦ مليون دولار ، وفي ١٩٥١ حوالى ٢ مليون دولار ، وشملت طائرات مقاتلة ورشاشات ثقيلة ، ولعبت تشيكوسلافيا دورا رئيسيا في شحن العماد وبطائرات حين وافقت على استعمال قواعدها كمركز انطلاق ـ وقد وصلت اول شحنة سلاح تشيكي تحت اسم سري هو « بالاك » الى مطار مجهول في فلسطين اسمه بيت داراس عند منتصف ليل ٣١ ايار ١٩٤٨ ، ووصلت الشحنة الثانية على ظهر الباخرة نورا .

والاخطر من ذلك هو الاتفاق الذي عقدته براغ آنذاك مع الهاغاناه لتدريب كوادر شابة للجيش الاسرائيلي ، وقد جرى تأسيس معسكرات تدريب في اوروبا الشرقية لتدريب يهود اوروبا الشرقية الذين كانوا على وشك الهجرة ، وذلك تحت اشراف ناحون شدمي ويعقوب سولومان ـ الا ان هذه المعسكرات كانت تقام تحت ستار ملاعب رياضية ، وبعيدا عن معرفة الفروع المحلية للحزب ، مما يدل على ان الفساد في القيادة كان يخشى كشف القواعد لهذا التجاوز الايديولوجي والتناقض الفاضح ، والانحراف وهذه الحقيقة تلفت النظر الى عامل جديد وراء نمو النفوذ الصهيوني داخل هذه الاحزاب وهو عامل التناقض بين قيادات هذه الاحزاب وقواعدها .

اليسار غير الصهيوني

وبالاضافة الى « الحزب الشيوعي الاسرائيلي » هنالك جمعية ذات ميول تروتسكية تسمى « الجمعية الاشتراكية الاسرائيلية » التي تصدر صحيفة « ماتزبن » العبرية . وتعتبر هذه الجماعة نفسها حركة مناهضة للصهيونية ، نشرت في آب ١٩٦٦ كراسا بالانكليزية بعنوان « المشكلة الفلسطينية » يحتوي على سرد تاريخي وايديولوجي لا باس به حول القضية الفلسطينية ، ولكنه يستنتج بعد ذلك كما يلي : « ان شعار « تحرير فلسطين » .. له مضار سياسية شديدة الخطورة . فهو ، اولا ، يرغم اليهود العاديين ، وحتى اليهود المعادين للصهيونية .. على الوقوف بجانب الحكومة انطلاقا من مجرد المحافظة على النفس .. فالاختلافات الداخلية التي لا بد ان تظهر تحت الظروف الاعتيادية ستكبت . ففي هذا الجو قلة من الاسرائيليين من يعارض اعتماد البلاد على الامبريالية التي على الاقل تحافظ على حياتهم . وبالاضافة الى ذلك، فان الشعار المبسط يضر القضية العربية في المجال العالمي .. حتى الفيتناميين الشماليين يفرقون بدقة بين سياسة واشنطن والشعب الاميركي » .

وعلى هذا الاساس تقدم جماعة « ماتزبن » بخطة « اممية » للمسالة حيث تقول : « ان اي حل سياسي جدي للمسالة الفلسطينية يجب ان يأخذ بعين الاعتبار انه ، بخلاف المجتمعات الاستيطانية الاوروبية في افريقيا الجنوبية وروديسيا والجزائر ، فان اليهود في فلسطين لا يشكلون طبقة عليا ، بل امة بكاملها ، لها ايضا الطبقي الكامل . ان حقيقة كون هذه الامة قد خلقت اصطناعيا عن طريق الهجرة الصهيونية لا تغير حقيقة وجودها .. ولهذا فان اي حل دائم يجب ان يحقق هدفين اساسيين : يجب الغاء الطبيعة الصهيونية لاسرائيل ، ويجب منح حق تقرير المصير لهذه الامة بشكل ينسجم مع مصالح الجماهير العربية .. »

اما كيفية الحل « الاممي » فهو ان « على اسرائيل ان تتجرد من الصهيونية . اي الغاء جميع القوانين والممارسات الحالية التي تفرق بين اليهودي وغير اليهودي .. » وعلى هذا الاساس « يعطى اللاجئون الفلسطينيون الحق في العودة . ولاولئك الذين يريدون العودة يجب تكاملهم التام في اسرائيل اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا » (٦)

(٦) « الهدف » : من العدل الاشارة هنا الى التطورات التي طرات على افكار « ماتزبن » والنضج الثوري الذي صاحب ذلك التطور وقد نشرت « الهدف » في العددين الفائتين ترجمة كاملة لاخر المواقف التحليلية التي توصل اليها مفكرو « ماتزبن » بهذا الشان، وهي تختلف الى حد كبير مع تحليل « آب ١٩٦٦ » . والواقع ان هذا التطور بالذات هو احد الامثلة على امكانية نمو الالتزام الحقيقي بالولاء للماركسية ـ اللينينية .

وعلى هذا الاساس ، فان « الحل الاممي » يعارض الكفاح الفلسطيني المسلح من اجل تحرير فلسطين لان ذلك « يرغم اليهود .. على الوقوف بجانب الحكومة » ولانه « يضر القضية العربية في المجال العالمي » . ولذلك فعلى الشعب الفلسطيني ان ينتظر نجاح جماعة « ماتزبن » في استلام السلطة ، عندئذ « يعطى اللاجئون الفلسطينيون الحق في العودة » !! ومن الضرورة الاشارة الى ان جميع هذه الحركات «اليسارية» اعترافا قوميا وتعتبرها « امة » فالمسالة اذن حريات دينية وثقافية وشخصية .

اما محاولة مقارنة فيتنام بفلسطين من وجهة نظر « ماتزبن » فتحتوي على مغالطة اساسية . ان العدوان الاميركي في فيتنام هو غزو عسكري امبريالي لا يهدف الى خلق استيطان اميركي في فيتنام كما فعلت الصهيونية في فلسطين . اما الغزو الصهيوني فانه يعتمد في نجاحه بصورة اساسية على الاستيطان اليهودي ، وما القوات العسكرية الاسرائيلية الا الذراع المسلح لهذا الاستيطان العدواني . ومن المهم لفت نظر القارىء الى عبارة « تجريد اسرائيل من صهيونيتها » ، وهي عبارة قد اصبحت شائعة في الاوساط الغربية « المؤيدة » للثورة الفلسطينية . ان هذا الشعار يفرض ان حل المشكلة من الممكن تحقيقه عن طريق تغيير نوع الحكومة في اسرائيل ، متغاضيا عن ان الكيان الاستيطاني بكامله كيان صهيوني . ثم ان هذا الشعار يضع ، بالضرورة، حركة المقاومة ، بالمكان الثانوي حيث ان دور المقاومة ليس لتحرير فلسطين بل على احسن تقدير سوف يقتصر على الضغط من اجل حدوث تحولات داخل اسرائيل !

شعارات الاصدقاء

ولهذا فمن الضروري الانتباه الى كل تصريح يدلي به هؤلاء « الاصدقاء » ولكل شعار يرفعونه باسم « التاييد » للثورة الفلسطينية ، وذلك لان هنالك خطر تسرب بعض المفاهيم المضرة جدا في صفوف المقاومة عن طريق « الاصدقاء » الجدد وخاصة « اليساريين » في الغرب الذين لا يزال نفوذ الشوفينية اليهودية كبيرا بينهم .

ان هؤلاء « اليساريين » الذين لم تهز ضمائرهم ماساة فلسطين منذ ما يقرب من الربع قرن ، هرعوا الان « لاحتضان » الثورة الفلسطينية .

ان موقف التروتسكيين من اسرائيل يظهر من كتابات احد اقطابهم ، اسحق دويتشر (المتوفي عام ١٩٦٧) ، حيث يقول : « لبقايا اليهود الاوروبيين .. اصبحت الدولة اليهودية ضرورة تاريخية . وانها ايضا حقيقة حية .. (ان يهود اسرائيل) يشعرون ، وهم على حق ، ان « العالم المتمدن » .. لا يقف على اساس اخلاقي عندما يحاول ان يعفي او يهدد اسرائيل لاي خرق حقيقي او خيالي للتعهدات الدولية » (٨)

اما في الوقت الحاضر ، فيقولالتروتسكيون بمحاولات بث افكارهم بشان القضية الفلسطينية عن طريق محاولة اظهار انفسهم بمظهر «المؤيدين» للقضية الفلسطينية ، ففي كراس نشره احد قادتهم في اميركا ، الدعو بيتر بوك يهاجم موافقة الاتحاد السوفياتي على التقسيم ، ولكنه يقول مباشرة ان « اليهود قد اضطروا على القتال ، ليس فقط في سبيل الاستقلال ، ولكن من اجل البقاء » (٩) . ثم ينتهي الى الدعوة الى « اسرائيل جديدة » عن طريق استبدال القادة الصهيونيين بعناصر من الشباب ، عندئذ « يجب على اسرائيل ان تتخلى عن سياستها الموالية للاستعمار وعليها ان تقف بصورة كاملة مع العالم الثالث ومع الثورة ضد الكولونيالية ، ويجب عليها ان تعترف بالظلم التاريخي الفظيع الذي اصاب عرب فلسطين » (٩) .

ثم يقول ان مجيء حكومة جديدة في اسرائيل قد اصبحت امكانيته اعظم بسبب ظهور حركة المقاومة ، ولهذا فانه يقول « ان اي مفاوضات حقيقةتحتم الاعتراف بهذه الحركة (اي المقاومة) كقوة على قدم المساواة وتحتم كذلك ايجاد تسوية عادلة يلعب فيها الطرفان ادوارا متساوية من اجل بناء اسرائيل جديدة » (٩) .

اما فائدة هذه « الاسرائيل الجديدة » بالنسبة للعالم العربي ، فسيكون بوسعها ان تسير نحو الاشتراكية ، وبهذا « فستكون قادرة على تشجيع حركة مماثلة في الاقطار العربية لقلب الانبثاق الاشتراكي للثورة العربية » . وهكذا فان اسرائيل ستكون خميرة الثورة الاشتراكية في العالم العربي !!

ومن الجدير بالذكر ان هذا الشخص (بيتر بوك) كان عضوا فعالا في جماعة « هاشومير هاصعير » ، وهي جمعية للشباب « الاشتراكي ـ الصهيوني » ثم اصبح عضوا فعالا في المنظمة التروتسكية ، وكثيرا ما يتكلم في اجتماعات الطلبة العرب باعتباره « صديقا » !

استنتاجات اخيرة

وعلى هذا الاساس ، فلا بد من الاستنتاج كما يلي :

١ ـ ان التاييد الذي تتمتع به الصهيونية واسرائيل في كثير من انحاء العالم ، حتى في الاوساط اليسارية ، لم يكن نتيجة « عدم فهم » القضية الفلسطينية او نتيجة « الضعف الاعلامي » العربي،بل نتيجة النفوذ الكبير الذي تتمتع به الشوفينية اليهودية في جميع الاوساط يسارية وغير يسارية ، في اوروبا واميركا (٧) .

٢ ـ ان ازدياد الاهتمام من قبل « اليسار » في اوروبا واميركا بالقضية الفلسطينية ، منذ ١٩٦٧ ، كان مصطحبا بترويج افكار الدولة « المزدوجة القومية » في فلسطين . اي ان هذه العناصر التي ساندت الصهيونية ، تحاول الان ادخال مفاهيمها بين الفلسطينيين والعرب بصورة عامة ، وخاصة مفهوم « الامة اليهودية » وهو مفهوم صهيوني رئيسي .

٣ ان هذه العناصر الشوفينية اليهودية التي لم تحرك ضمائرها ماساة فلسطين طيلة ربع قرن ، تتظاهر الان « بتاييد » الثورة الفلسطينية والعربية ، ولكن حسب شروطها . ان كل الامثلة التي اوردناها اعلاه تدل بكل وضوح على ان اهم شيء بالنسبة لهذا « اليسار » هو الكيان الاسرائيلي في فلسطين المحتلة . ولهذا فلا تزال لديهم الصلافة ان يطلبوا من الشعب الفلسطيني ان يثبت « انسانيته » و « اماميته » تجاه الاستيطان الصهيوني ، قبل ان يتفضلوا بتاييده، ان هروبهم الاخير نحو « تاييد » الثورة ما هو الا محاولة للتاسي الايديولوجي السلبي على الثورة .

٤ ـ ان اي طلب من الشعب الفلسطيني ان يثبت « عدم شوفينيته » تجاه الاستيطان الصهيوني ما هو الا اهانة لهذا الشعب وللماسي التي اصابته ، وللدماء التي سالت ، وما هي الا اهانة للاطفال الفلسطينيين الذين حرقت اجسادهم قنابل النابالم على ايدي « الجماهير » اليهودية الغازية . ونظرا للتاريخ الفلسطيني والعربيمنذ بدايةالاستعمار الاستيطاني الصهيوني فان اية دعوة تحاول وضع « حقوق » المستوطنين الصهاينة ، وحقوق الشعب الفلسطيني على حد سواء هي دعوة من اجل وضع راحة وسعادة المستوطنين الغزاة على نفس مستوى حياة الشعب الفلسطيني . ان القبول بهذه النظرة نحو المسالة هو اعتراف بالقدمية واحقية المستوطنين الغزاة . اي ان « راحة » اللصوص الذين نهبوا فلسطين هي اثمن من حياة الشعب الفلسطيني المشرد !

٥ ـ نظرا للعزلة التي عاناها الشعب الفلسطيني ، والعرب بصورة عامة ، نرى انه من الممكن تسرب مثل هذه المفاهيم ، نتيجة لمحاولة عدم « تنفير » هؤلاء « الاصدقاء » الجدد .

وانطلاقا من الاهتمام بما يسمى بالراي العام العالمي ، يركز بعض العرب ، فلسطينيون وغيرهم على تاكيد براءتهم من « اللاسامية » . اننا نعتبر ان اي شخص يطلب من الشعب الفلسطيني او الشعب العربي عامة ، بان يبرهن براءته مما يسمى ب « اللاسامية » انما يوجه اهانة للشعب الفلسطيني وللامة العربية . كما ان القبول بهذا الطلب ، والسعي لنفي « اللاسامية » ما هو الا القبول بهذه الاهانة . ولنذكر هنا قصة حقيقية تنطبق على هذا . فقد اجرى احد الصحفيين مقابلة مع القائد الثوري فيديل كاسترو وسال ذلك الصحفي كاسترو قائلا بانهنالك بعض الناس من يقولون عنك (اي عن كاسترو) بانك عميل سوفياتي ، فاجابه كاسترو انني سوف لا اجيب على هذا السؤال ، لان ذلك بمثابة الطلب من سيدة محترمة ان تقف في وسط المدينة تعلن بانها ليست عاهرة !!

٦ ـ ان الكلام عن مكافحة « اللاسامية » والتخوف من مجرد ذكر كلمة « يهودي » الا بحذر شديد لئلا يسيء فهمنا « الراي العام العالمي » ما هو الا قبول بمفهوم صهيوني جعل من اليهود « شعبا مختارا » وجعل من كلمة « يهودي » كلمة مقدسة . ان الصهيونيين قد عملوا ويعملون بكل قوة من اجل تقوية هذا المفهوم ، حتى ان مفهوم « اللاسامية » قد اصبح ، بفضل الدعاية الصهيونية ، ليس مجرد تعصب ديني ضد اليهود بل اصبحت « اللاسامية » تعد من الامراض العقلية . وبالفعل فقد احتوت « موسوعة الامراض النفسية » (س) مقالة بقلم الدكتور ناثان اكرمان والدكتورة ماري يهودا حول « مرضى معاداة السامية » . ومن جملة الهذيان الذي تحتويه هذه المقالة « العلمية » ان « المرضى » الذين قام هؤلاء الاطباء بمعالجتهم لم يكونوا على ادراك بحقيقة مرضهم ، لانهم ذهبوا الى العلاج يشتكون من اعراض اخرى غير « اللاسامية » ومن جملة الاعراض (في من اصابه مرض اللاسامية) ، الكآبة والشعور بعدم الاطمئنان ، والعجز عن تحقيق حياة جنسية سعيدة . ويتصف هؤلاء « المرضى » بعدم وجود ضمير لهم ومن ظواهر افتقارهم للضمائر هو « الكره العميق في دور المراهقة لاحد او كلي الوالدين » . كما ان من اعراض « اللاسامية » القلق والخوف المبالغ فيه من فقدان الخصيتين . هذه هي بعض الامثلة من هذه الموسوعة « العلمية » التي قام بنشرها استاذ في الكلية الطبية في جامعة نيويورك ، وهي مثال على آلمدى الذي يذهب اليه الصهاينة لتخويف الناس من مجرد التفكير بانتقاد اليهود مهما فعلوا .

٧ ـ ان مسالة اليهود و « اللاسامية » لم تكن من صنع الشعب الفلسطيني او اي شعب عربي آخر ، فالشعب الفلسطيني لا يحارب الصهاينة لانهم يهود ، بل لانهم اقتلعوه من ارضه وشتتوه ونهبوه واقاموا مكانه كيانا استعماريا عنصريا حليفا للامبريالية . ان الصهاينة هم الذين اغتصبوا فلسطين وارتكبوا لجرائم ، ويبررون ويبررون لصوصيتهم بالضبط على اساس الشوفينية اليهودية .

(٧) « الهدف » : ليس من المناسب التقليل من الاسباب الاخرى ، ومن بينها سطوة الاعلام الامبريالي الذي قذف بكل قواه الى جانب الحركة الصهيونية ، ورجعية الاعلام العربي والتحريفية في نهج بعض قيادات الاحزاب اليسارية والشيوعية .